جامعة كربلاء
كلية العلوم الإسلامية
دراسات إسلامية معاصرة / العدد 41 / أيلول 2024

الولاية مفهومها ومصداقها دراسة في ضوء القرآن والعترة

Regime its concept and its credibility ،a study in the light of the Qur'an and the family

م.م. علي كاظم بجاي السعيدي
Asst.lect. Ali Kadhim Bachay Al-Saeedi

مديرية تربية كربلاء المقدسة
Holy Karbala Education Directorate

الكلمات المفتاحية: القرآن، الولاية، العترة، مصداق.

Keywords: The Quran, the regime, Atra, credible.

الملخص:

يسعى البحث إلى بيان موضوع الولاية مفهومها ومصداقها في ضوء القرآن والعترة، وتمحور البحث حول مفهوم الولاية والولي الّذَينِ وردا في القرآن الكريم وعلى ألسنة العرب؛ إذ بيّن مصاديق هذين اللفظين، وماذا تعني هذه اللفظة؟ وما المراد منها في حديث الغدير؟ واستعرض لقسمي الولاية التشريعية والتكوينية وتفصيل كل منهما في محله، وأخذ في طياته مراتب الولاية منها الذاتية والامتدادية والاعتبارية، وعلامات الولي وصفاته ومميزاته ومصاديقه، وتعرّض أيضاً لتقلبات كلمة (ولي) في الاستعمالات القرآنية، وبيان من هم أولي الامر؟.

Abstract:

The research seeks to clarify the topic of regime between concept and credibility in the light of the book and the family. What is the meaning of these two words, and what does this word mean? What is meant by it in the hadith of Al-Ghadir? He reviewed the two divisions of legislative and formative regime and detailed each of them in its proper place, and took with it the levels of regime, including subjective, extensional, and legal regime, and the signs, qualities, characteristics and credentials of the guardian, and also exposed the fluctuations of the word (regime) in Quranic uses, and clarifying who are the regime?

المبحث الاول

ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب لأول: مفهوم الولاية

الولاية في اللغة: مصدر الموالاة، والولاية مصدر الوالي، والولاء: مصدر المَولَى، والموالي: بنو العم.. والموالي من يحرم عليه الصدقة من أهل بيت النبي – صلى الله عليه وآله –، والمَولى: المعتَق والحليف والوليّ، والولي: ولي النعم[1].

(ول ي) الواو واللام والياء: أصلٌ صحيح يدلُّ على قرب، فمن ذلك الوَلْيُ: القرْب، فيقال: تَباعَدَ بعد وَلْي، أي قُرْبٍ، وجَلَسَ ممّا يَلِيني، أي يُقارِبُني، والوَلِيُّ: المَطَر يجيءُ بعد الوَسْميّ، سمِّي بذلك؛ لأنَّه يلي الوسمِيّ.

ومن باب المَوْلَى: المُعْتِقُ والمُعْتَق، والصَّاحب، والحليف، وابن العَمّ، والنَّاصر، والجار، فكلُّ هؤلاءِ من الوَلْيِ وهو القُرْب، وكلُّ مَن ولِيَ أمرَ آخرَ فهو وليُّه[2].

وورد (ولي) من أَسماء الله تعالى بمعنى الناصِرُ، وقيل: المُتَوَلِّي لأُمور العالم والخلائق والقائمُ بها، ومن أَسمائه عزّ وجل (الوالي) وهو مالِكُ الأَشياء جميعها المُتَصَرِّفُ فيها[3]، وروي أَن النبي قال: ((من تَوَلاَّني فلْيَتَوَلَّ عَلِيًّا)) معناه من نَصَرَني فليَنْصُرْه[4].

المطلب الثاني: الولي

على صيغة (فعيل)، بمعنى: الفاعل، وهو من توالت طاعته من غير أن يتخللها عصيان، أو بمعنى: المفعول، فهو من يتوالى عليه إحسان الله وأفضاله، والولي، هو العارف باللهِ وصفاته بحسب ما يمكن المواظب على الطاعات، المجتنب عن المعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات[5].

المطلب الثالث: الولاية

من الولي، وهو القرب، فهي قرابة حكيمة حاصلة من العتق، أو من الموالاة. وهي قيام العبد بالحق عند الفناء عن نفسه، وفي الشرع: تنفيذ القول على الغير، شاء الغير أو أبى[6].

والوَلاية بالفتح بمعنى النصرة والتولي وبالكسر بمعنى السلطان والملك أو بالكسر في الأمور وبالفتح في الدين يقال (هو وال على الناس) أي متمكن الولاية بالكسر (وهو ولي الله تعالى) أي بَيَّن الولاية بالفتح، أو هما لغتان[7].

والولاء والتولي أن يحصل شيآن فصاعداً ليس بينهما ما ليس منهما، ويستعار ذلك من حيث القرب بالمكان، ومن حيث النسبة، ومن حيث الدين، ومن حيث الصداقة والنصرة والاعتقاد.

والذي يساعد عليه الاعتبار ان مادة الكلمة وضعت اول مرة للقرب الحسي الخاص، ثم توسع فيها فاستعملت في ما يشابهه من المعاني المعقولة. فأن الالفاظ وضعت تدريجياً لمسيس الحاجة الى التفاهم حول ما يعرف الانسان، ولاريب ان معرفة الانسان بالأمور المحسوسة انما حصلت قبل معرفته بالمعقولات، والقرب في غير المحسوسات قد يكون حقيقياً كقرب العلة من المعلول، وقد يكون اعتبارياً اعتبر لترتيب آثاره على ماهية الشأن في المفاهيم الاعتبارية.

فالقرب قد يلاحظ بين فردين مشتركين في اسرة واحدة فيفيد معنى ذي الرحم او الوارث، وقد يلاحظ بين شخصين اجنبيين بلا ملاحظة مزية لأحدهما على الآخر فيفيد معنى المعين والناصر ويستتبع المحبة والمودة، وقد يلاحظ فيه المزية لأحدهما المعين فيفيد معنى ولي الامر والمتصرف بالتدبير كولي الطفل والسيد، وقد يلاحظ بين مجتمعين وهو الذي يعبّر عنه بالعلاقة الوديّة والمصحح لاعتباره انما هو التعاون والتناصر، وقد يلاحظ بين شخص ومجتمع وهو لا يفيد الا معنى تدبير الامر والسلطان وإن استلزم الود والعون[8].

المطلب الرابع: معنى الولاية والمولى في حديث الغدير

حينما نطلع على نحو إجمالي على حديث الغدير المتواتر، والعبارة المشهورة التي جاءت عن رسول الله – صلى الله عليه وآله – في جميع الكتب، وهي: (من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه) تتوضح كثير من الحقائق وإن أصرّ كثيرٌ من كُتّاب أهل السنة على تفسير كلمة (المولى) هنا بمعنى (الصديق والمحب والناصر)؛ لأنّ هذا أحد المعاني المعروفة لـ (المولى)[9].

ونحن نسلِّم بأنّ أحد معاني (المولى) الصديقُ والمحبُّ والناصر، إلا ان ثمّة قرائن عدّة تثبت أنّ المولى في الحديث أعلاه تعني (الولي والمشرف والقائد) وهي كما يلي بإيجاز:

1- ان قضية محبة علي – عليه السلام – مع جميع المؤمنين لم تكن أمراً خفياً وسرياً ومعقداً، بحيث يحتاج الى هذا التأكيد والايضاح، وبحاجة الى إيقاف ذلك الركب العظيم وسط الصحراء القاحلة الساخنة والقاء خطبة عليهم لأخذ الإقرار بالولاية له من ذلك الجمع[10]

فالقرآنُ يقول بصراحة: ((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ))[11]

وفي موضعٍ آخر يقول:((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ))[12]

وخلاصة القول: إنّ الاخوّة الإسلامية ومودة المسلمين مع بعضهم من أكثر المسائل الاسلامية بداهةً؛ إذ إنّها كانت موجودة منذ انطلاقة الاسلام، وطَالما أكد عليها النبي – صَلى اللهُ عليه وآله – مراراً ، بالإضافة إلى عدم جعلها مسألة تحتاج الى بَيان بهذا الاسلوب الحاد في الآية الكريمة، وان يشعر النبي بالخطر من البوح بها.

2- إن عبارة (ألستُ أولى بكم من أنفسكم) الواردة في كثير من الروايات لا تتناسب أبداً مع بيان مودّة عادية، بل إنّه يريد القول بأنّ تلك الاولوية والتصرف الذي لي اتجاهكم وانني امامكم وقائدكم فأنه ثابت لعلي – عليه السلام – وأي تفسير لهذه العبارة غير ما قيل فهو بعيد من الانصاف والواقعية.

3- التهاني التي قدمها الناس لعلي (عليه السلام) في هذه الواقعة التاريخية، لاسيما التهاني التي قدمها أبو بكرٍ وعمر؛ إذ إنّها تبرهن على أنّ القضية لم تكن إلا تعيين الخلافة التي تستحق التبريك والتهاني، فالإعلان عن المودة الثابتة لجميع المسلمين بشكلٍ عام لا يحتاج الى التهنئة[13]

وذُكِرَ في مسند أحمد بأن عمراً قال لعلي بعد خطبة النبي – صلى اللهُ عليه وآله –: هنيئاً لك يا ابنَ ابي طالب أصبحتَ وأمسيتَ مولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة[14]، وذكر الفخر الرازي فِي ذيل الآية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)[15].

ويذكر أنّ عمراً قال: ((هنيئاً لك يا ابن ابي طالب اصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة))، وبهذا فأن عمراًا يعدُ علياً مولاه ومولى المؤمنين جميعاً ، وفي تاريخ بغداد جاءت الرواية بهذا الشكل: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كلِّ مسلمٍ[16] ، وجاء في(فيض القدير) و(الصواعق) إنّ أبا بكرٍ وعمراً باركا لعليٍّ بقولهم: (أمسيتَ يا بن أبي طالب مولى كلِّ مؤمنٍ ومؤمنة)[17]

4- ان الشعر الذي قاله حسان بذلك المضمون والمحتوى الرفيع، وتلك العبارات الصريحة والجليلة شاهد آخر على هذا الادعاء[18].

المبحث الثاني

أقسام الولاية: ويتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: الولاية التشريعية والولاية التكوينية

والولاية التشريعية لله جلّ وعلا تعني ولايته عزّ وجلّ على الخلق بما يرجع إلى أمور دينهم كتشريع الدين والهدايةِ والإرشاد والتوفيق.

والولاية التكوينية لله وحده، فإنّها ترمز إلى التصرّف الإلهي في كلّ شيء، وتدبير أمر الكون الرحب الوسيع بما يحتويه، لا يعزب عن علمه وقدرته وولايته شيء في الكون، فهو المدبّر في الخلق بما شاء وكيف شاء، وبما يتلاءم مع النظام الأتمّ والأكمل، فإنّه اللطيف الخبير.

أمّا الولاية التشريعية فقد ذكر القرآن الكريم أنّ رسول الله هو الممثّل الأوّل لها نيابة عن الله سبحانه وبتفويض منه جلّ وعلا، ويعني ذلك قيام النبيّ بأمر من الله بالتشريع والدعوة وتربية الأُمّة وتعليمها والحكم فيها[19]؛ إذ قال الله تعالى :(النَّبِيُّ أَوْلى بِالمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)[20]، وقال جل شأنه :(وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ

إذا قَضى اللهُ وَرَسولُهُ أمْراً أنْ يَكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبينا)[21]، وقال عزّ من قائل: (قُلْ أطيعوا اللهَ وَالرَّسولَ)[22]؛ لأنّ إطاعة الرسولِ من إطاعة الله، فإنّ النبيّ يجسّد الإرادة التشريعية الإلهية، فلا يريد إلّا ما أراده الله:﴿ما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا﴾[23] و﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ...﴾[24]

فهذه الآيات وغيرها تَدلّ على تفويض الولاية التشريعية إلى الرسول الأكرم، وإلى آل بيته وخلفائه الأئمّة الهداة الأطهار، فكلّهم نور واحد، وللإمام المعصوم ما للنبيّ إلّا النبوّة.

أمّا الولاية التكوينية فالأدلّة العقليّة والنقليّة تدلّ على ثبوتها للرسول الأكرم وآهل بيته الأطهار، كما ثبتت بالروايات الصحيحة، ويكفيك شاهداً بعض الآيات التي تحكي ثبوت الولاية التكوينية لبعض الأنبياء؛ إذ قال الله عزّ وجل حكاية عن عيسى بن مريم: (إِنّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفَخُ فيهِ فَيَكونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ)[25]

فقد نسب النبيّ عيسى عملية الخلق والنفخ إلى نفسه مع الاحتياط بالرابطة الإلهيّة والتعلّق بالله سبحانه، وهذا اعتقادنا في الولاية التكوينية، فإنّها في طول ولاية الله وقدرتِه، فهي قدرة في طول قدرة الله وبإذنه، فليست على نحو الذات والاستقلال، وقال سبحانه لسليمان :﴿هذا عَطاءُنا فامْنُنْ أوْ أمْسِك بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾[26]، فإنّه سبحانه فوّض لسليمان (عليه السلام) أمر الملك العظيم الذي امتدّ مِن تسخير الرياح والإنسِ والجنّ إلى الطيور وما إلى ذلك.

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: يا أبان، كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين لمّا قال: لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربتُ بها صدر ابن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره، ولا ينكرون تناول آصف وصيّ سليمان عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتدّ إليه طرفه، أليس نبيّنا أفضَل الأنبياء ووصيّه أفضل الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصيّ سليمان؟[27]

وقال : إنّ الله أدّبَ رسولَهُ حتّى قوّمه على ما أراد، ثمّ فوّض إليه فقال: ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[28]، فمَا فوّض الله إلى رسوله فقد فوّضه إلينا، وعن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إنّ الله فوّض إلى سليمان بن داود(عليهما السلام) فقال : ﴿هذا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أوْ أمْسِك بِغَيْرِ حِسابٍ ﴾[29]، وفوّض إلى نبيّه فقال: ﴿ما آتاكُمُ الرَّسولُ فَخُذوهُ وَما نَهاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا﴾[30]

ولا يمكن القول بأنّ هذا من المعاجز لإثبات صحّة دعواهم النبوّة أو الإمامَة، ولا علاقة لها بالولاية التكوينية، لأنّه يقال في الجواب: إنّ المعجزة والكرامة فرع الولاية، فلولا قرب الوليّ من الله سبحانه وحصوله على منزلة القرب الخاصّ الذي هو معنى الولاية الاصطلاحية كما مرّ، لما استطاع من التأثير في عالم التكوين وفي الأشياء الكونيّة[31]

المطلب الثاني: مراتب الولاية

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[32]

الولاية في القرآن الكريم كما ورد في هذه الآية الشريفة لها ثلاث مراتب هي:

أ- الولاية الذاتية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾: وهي ولاية الله سبحانه وتعالى، وتُسمّى كذلك (الولاية الأصلية) و(ولاية

الآصال) و(الولاية الاستقلالية)؛ لأنّها المصدر لكل مراتب الولاية الأخرى، والأساس الذي تتفرّع منه تلك المراتب، وهي الولاية التي يستقلّ العقل بالقول بها ويفرضها ويقوم بإنشائها والاعتقاد بها، ويؤمن بها حتى لو لم يكن هناكَ نصّ ديني، والنصوص الدينية مؤكدة لتأسيسه، وليست مؤسسِة لأمرٍ جديد.

فالأصل يقتضي أنّ لا ولاية لأحد على أحد، ثمّ يُخصَّص هذا الحكم العقلي العام بالمخصّصات العقلية الأخرى تقضي بولاية الله على البشر؛ لأنّه الخالق، فله الولاية على خلقه، ولأنّه المنعم، فله الولاية على من أنعم عليهم، وشكر المنعم التام يقتضي تلك الولاية؛ ولأنّ البشر (ممكن الوجود)، ووجوده متقوّم بوجود الباري تعالى (واجب الوجود)، ولا وجود استقلالي للممكنات دون الواجب، فَهو وليّها والقائم عليها، ولأنّه لابدّ من حفظ النظام، ولابدّ من سَائس وولي يسعى لاستخراج القانون الأصلح للمجتمع وتنفيذه، والعقل يحكم بضرورة هذا لكي يتعايش الناس، وتسير أمورهم، كما يحكم أنّ الله العارف العليم الخبير بشؤون البشر هو الأولى أن يضع لهم ذلك النظام والتشريع (الشريعة)، ومن ثمّ فهناك أربعة مخصّصات عقلية تثبت ولاية الله، وهي[33]:

1- الخالقية.

2 - شكر المنعم.

3 - قيمومة الممكن بالوجوب.

4 - حفظ النظام.

والآية الشريفة تشير إلى هذه الولاية الحقة لله.

ب- الولاية الامتدادية المتمثلة بقوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ هي ولاية من افترض الله تعالى ولايته على العباد، وتُسمى أيضاً (ولاية التبع)، أو(الولاية التبعية)؛ لأنّها تمثل الامتداد والتّبع لولاية الله، فمن الولاية الالهية تنشأ الولاية لمن منحه الله إيّاها على العباد، وهنا تقع ولاية الرّسل والأوصياء والأئمة(عليهم السلام)، ومنها ولاية الرسول التي تمثل امتداد وفرع لولاية الله عزّ وجل.

وإذا ثبت القول بأنّ المقصود من ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ هم المعصومون من أهل البيت(عليهم السلام)، الإمام علي والصديقة الزهراء وأبناؤهما الأئمة، أي: السيّدة الزهراء والأئمة من ذريتها، فسيكون هذا المقطع حديثاً خالصاً عن (الولاية الامتدادية)، وستكون الآية متحدّثة عن مرتبتين لا غير من مراتب الولاية هما: (الولاية الذاتية، والولاية الامتدادية)، ولن يكون فيها شاهد للمرتبة الثالثة من الولاية، وهي (الولاية الاعتبارية)، وبهذا علينا أن نبحث عن مثال قرآني آخر يشهد لها بذلك؛ لإتمام دائرة الولاية[34].

ج- الولاية الاعتبارية: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾: وهي ولاية من سنّ الله والمعصوم ولايته ولو في بعض شؤون ومتعلقات الولاية، كولاية الفقيه والفقهَاء، وولاية الأمة، وولاية المُؤمنين على بعضهم، وولاية الآباء على الأبناء.

وهذا يعتمد على نصوص كثيرة منها تحديد المقصود بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وفيها توجيهات هي:

1- فإذا فسّرناه بالمعصومين من أهل بيت النبي، كان ذلك تفصيلاً لأفراد الولاية الامتدادية، وأنّها للرسول والزهراء

والأئمة، كما تقدّم في المرتبة الثانية للولاية، ولن يكونَ في الآية شاهد للولاية الاعتبَارية.

2 . وإذا فسّرناه بالفقهاء كما يفعل بعضهم فهذا شاهد للولاية الاعتبارية، وإشارة لقسم منها وَهو: ولاية الفقيه والفقهَاء.

3 . وإذا فسّرناه بولاية الأمة المؤمنة على نفسها، فسيكون كذلك حديثاً عن (الولاية الاعتبارية)، ومثالاً لقسم منها، وهو ولاية الأمة، أي الولاية السياسية للأمة على نفسها، وعدم الاشتراط بكون الولي على هذه الأمة فقيهاً مرجعاً.

4 . وإذا فسّرناه بعموم المؤمنين، فسيكون شاهداً للولاية الاعتبارية، ومثالاً لولاية المؤمنين عامة على بعضهم (ولاية المؤمنين)، التي حكتها آيات أخرى كقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[35]

وفي الصور الثلاث الأخيرَة من هذه التفسيرات الأربعة التي سبقت سيكون قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ حديثاً خاصاً بالولاية الاعتبارية سواء تمثلَت في ولاية الفقيه، أم ولَاية الأمة، أم ولاية المُؤمنين، وسوف يكون تأسيس الولاية الامتدادية مشتقاً من كلمة ﴿وَرَسُولُهُ﴾ التي ستُفسّر بالرسول الخاتم(صلى الله عليه وآله)، ومن يمتدّ لهم ذلك المنصب من عترته الطاهرة المعصومة؛ لأنّهم خلفاؤه، ولهم منصبه الحق من بعده[36]

المطلب الثالث: المسار القرآني لمراتب الولاية

وهذه الخطوط الثلاثة للولاية (الذاتية، الامتدادية، الاعتبارية) تمثل مساراً قرآنياً عاماً كثر ذكره في القرآن الكريم على نحو ذِكر مراتب الولاية في آيةٍ واحدةٍ أو في آيات متفرّقة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[37]

وقوله تعالى: النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إلا أَن تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾[38]

وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾[39]

وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[40].

فمن شذا الآية، وقبل أن نسدلّ الستار على البستان البهيج لهذه الآية المباركة نقف بعض وقفات ننتشي فيها بسكر شذاها العبق:

أ- بدأت الآية الكريمة بالأداة ﴿إِنَّمَا﴾، وهي أداة تدلّ على الحصر، أي: أنّ هذه المراتب الثلاث التي ذكرتها هي المراتب الحقيقية للولاية، فهو حصر حقيقي لا إضافي.

ب . جاءت لفظة ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ بصيغة المفرد علماً أنّ المشمول بها ثلاثة هم ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾؛ لتثبت بأنّها ولاية واحدة لها مستويات، ومن ثمّ مجيء الإفراد هنا أدقّ من الجمع (أولياؤكم)، فهِي ولاية واحدة لها مراتب طولية متدرّجة، فالولاية الأصلية لله، ومنها تنبثق ولاية الرسول، ومن ولاية الرسول ولاية العترة المعصومة، والعموم هنا (عموم مجموعي) حسب التعبير الأصولي، فالكفر والتكذيب لأيّ مرتبة من مراتب الولاية هو كفر وتكذيب بجميع ذلك[41].

المبحث الثالث

ويمكن بيانه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: علامات الولي

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[42]

فكلمة (إنّما) تدل على الحصر، وعلى هذا فإن (وَلِيُّكُمُ) أيها المؤمنون هم الثلاثة المذكورون في هذه الآية الشريفة لا غير، وهؤلاء الثلاثة عبارة عن:

1- الله عز وجل

2- رسول الله – صلى الله عليه وآله-

3- الذين آمنوا

وبالطبع ليس المراد جميع المؤمنين بل بعضهم الذي يتمتع بالشروط المذكورة في نفس الآية ﴿الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾.

فالطائفة الثالثة من أولياء الله المؤمنين ليس هم جميع المؤمنين بل المؤمنين الذين يقيمون الصلاة أولاً، ويؤتون الزكاة ثانياً، وأن يكون إيتاء الزكاة في حال الركوع ثالثاً، والنتيجة، هي إن ولي المؤمنين هم هؤلاء الثلاثة فقط:

1- الله عز وجل

2- النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله).

3- المؤمنون الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون[43].

فبعض المفسرين من أهل السنة وبهدف إبعاد اذهان مخاطبيهم عن المعنى الواضح للآية الشريفة فأنهم ذكروا معانٍ كثيرة لهذه الكلمة وصلت الى سبعة وعشرين معنى[44]؛ لكي يقول ان هذه الكلمة هي لفظ مشترك لمعانٍ مختلفة ولا نعلم مراد الله عز وجل منها وان أي من هذه المعاني هو المقصود في الآية الشريفة، اذن فإنّ هذه الآية مُبهمة لا تدل على شيءٍ، ولكن عند مراجعتنا لكتب اللغة ونظريات اللغويين رأينا أنهم لم يذكروا لمعنى الولي سوى اثنين او ثلاث معانٍ ، وعليه فأن سائر المعاني المذكورة لهذه الكلمة تعود الى هذه المعاني الثلاثة وهي[45]:

1- (ولي) بمعنى ناصر والولاية بمعنى النصرة.

2- (الولي) بمعنى القيم وصاحب الاختيار.

3- انها تأتي بمعنى الصديق والرفيق حتى لو لم يؤد هذا الانسان حق النصرة لرفيقه ولكن بما أنّ الصديق في دائرة الرفاقة والصداقة ينهض لنصرة صديقه غالباً فأن المعنى الثالث يعود للمعنى الاول ايضاً، وعليه فأن كلمة (ولي) في نظر ارباب اللغة تطلق على معنيين وسائر المعاني المذكورة لها تعود الى هذين المعنيين.

المطلب الثاني: (ولي) في استعمالات القرآن

لو نظرنا الى موارد استعمال هذه الكلمة في الكتاب الكريم لنرى أنّ كلمةَ (ولي) و(أولياء) جاءت في سبعينَ مورداً في القرآن الكريم وجاءت بمعانٍ مختلفة أيضاً[46]:

1- نرى في بعض الآيات الشريفة أنّ كلمة (ولي) جاءت بمعنى الناصر والمعين في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[47]

2- وجاءت الكلمة نفسها في آية اخرى بمعنى المعبود في قوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا... والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت)[48] فكلمة الولي في هذه الآية جاءت بمعنى المعبود، فالمعبود للمؤمنين هو الله عز وجل، ومعبود الكفار هم الطواغيت والشياطين والاهواء النفسانية.

3- وجاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الهادي والمرشد ايضاً كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾[49] فنجد في هذه الآية الشريفة ان لفظة (ولي) جاءت بمعنى الهادي والمرشد.

4- وقد جاءت هذه الكلمة في آيات متعددة بمعنى القيم وصاحب الاختيار كما في الآيات الآتية:

أ- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾[50]

ب- وفي حديثها عن الولاية التشريعية: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾[51]، فـ(الولي) في هذه الآية جاء بمعنى القيم وصاحب الاختيار؛ لأنّ حق القصاص لم يأتِ في الشريعة لصديق المقتول بل لوارثه ووليه.

ج- وفي أطول آية في القرآن الكريم هي تتكلم عن كتابة وثيقة الدين والقرض وتقول: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾[52]، أي إنّ مَن كان الحق في ذمتِه ولا يستطيع أن يُملل على الكاتب فيجبُ أن يُملل وليه نيابةً عنه مع رعاية العدالة، ففي الآية الشريفة جاءت هذه الكلمة بمعنى القيم وصاحب الاختيار.

د- وفي قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾[53]، فالولي بمعنى القيم المسؤول ومالك الاختيار والا فمن الواضح ان الكفار والمشركين ليست لديهم أدنى علاقة مع هذا المكان المقدس.

هـ - وفي قوله تعالى:﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾[54] ومن الواضح ان الورثة يرثون المال بعد موت الولي فهنا لا تأتي بمعنى الصديق والناصر، والنتيجة هي ان كلمة(الولي) تستعمل في الآيات الشريفة بمعانٍ مختلفة، ولكنّها وردت في اكثر هذه الموارد بمعنى القيم وصاحب الاختيار.

المطلب الثالث: مصداق (الذين آمنوا) في آية الولاية

لقد اتضح فيما سبق معنى لفظة (انما) و(ولي)، ولكن مازالَ الابهام واضحاً بمعنى الآية الشريفة وتفسيرها؛ فلم يتضح لحد الآن المرادُ من عبارة (والذين آمنوا) في هذه الآية.

وللإجابة على ذلك يجب القول بأن ليس بين الرواة والمفسرين وعلماء الاسلام من الشيعة وبعض أهل السنة إلا ويرى (الامام علي) هو المصداق لهذه الآية الشريفة، وعلى ذلك الاساس فهذه الآية تدل بالإجماع واتفاقِ جميع علماء الاسلام بأنّ الامام علي (عليه السلام) هو المصداق لهذه الآية الشريفة، ومن جهةٍ اخرى فإنّ جملة (والذين آمنوا) لا تحمل سوى مصداقٍ واحد وليس لهذا المصداق غير عليّ بن ابي طالب (عليه السلام)، والنتيجة مما تقدم آنفاً أنّه يستفاد من الآية ثلاثة أمور[55]:

1- دلالة كلمة (إنما) على الحصر والولاية هنا منحصرة في طوائف ثلاثة.

2- إنّ هذه الولاية في الآيات الشريفة جاءت بمعنى القائد وصاحب الاختيار في أكثر استعمالاتها في القرآن الكريم.

3- إنّ مصداق (الذين آمنوا) في هذه الآية هو الامام علي (عليه السلام) بلا ريب.

المطلب الرابع: من هم أُولي الامر؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[56]، يخاطب الله تعالى في هذا المقطع من الآية الشريفة جميع المؤمنين في أقطار العالم وفي جميع الازمنة والاعصار الى يوم القيامة بتقديم الطاعة المطلقة لثلاثة من الاولياء:

الاول: إطاعة الله تعالى، والثاني: إطاعة النبي، والثالث: إطاعة أولي الامر.

والقسم الثاني من الآية الشريفة يبين المرجع للمسلمين في حال نشوب الاختلاف والنزاع وكأن الغرض هو تأسيس جهاز قضائي مستقل للمسلمين ويقول:

(فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[57]، فلا ينبغي التوجه في حل الاختلافات التي تحدث بين المسلمين الى الاجانب ومرجعيات غير اسلامية.

وبالالتفات الى قيد الايمان بالله واليوم الآخر (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ)

يتضح جيداً أن المسلمين الذين يتوجهون في خلافاتهم الى غير المنابع والمحاكم الاسلامية فإنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر.

والملاحظة الاخرى اللافتة للنظر هي أن الآية الشريفة أوردت في صدرها وجوب إطاعة أولي الامر من جملة الأولياء الثلاثة ولكنها عند ذكرها لمرجع الاختلاف في المقطع الثاني لم تذكر أولي الامر، وهذا المطلب هو الذي أثار علامات استفهام مهمة في تفسير الآية الشريفة أعلاه.

وفي جملة (ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) تعليل للجملتين السابقتين فلماذا يجب على المؤمنين طاعة الله ورسوله وأولي الامر؟

ولماذا يحرم على المسلمين اختيار مرجعية أخرى في حال اختلافاتهم غير الله ورسوله؟ لأن الآية توضح ذلك وتقول ان هذا الحكم هو خير للمؤمنين وهو افضل عاقبة لهم[58].

الهوامش:

(1) كتاب العين ، الخليل : 1068 ، مادة (ولي)
(2) معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس : 925 ، مادة (ولي)
(3) لسان العرب ، ابن منظور : 15/ 405 ، مادة (ولي)
(4) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
(5) ينظر التعريفات ، الشريف الجرجاني . 206
(6) ينظر المصدر نفسه ، والصفحة نفسها
(7) ينظر الكليات ، ابو البقاء الكفوي : 1/ 1513
(8) ينظر الامامة والولاية في القرآن الكريم ، مجموعة مؤلفين : 30
(9) ينظر آيات الولاية ، مكارم الشيرازي : 25
(10) ينظر المصدر نفسه: 26
(11) الحجرات : 10
(12) التوبة : 71
(13) ينظر آيات الولاية ، 26
(14) ينظر مسند أحمد :1281/4
(15) المائدة : 67
(16) ينظر تاريخ بغداد : 290/7
(17) ينظر فيض القدير :217/6، الصواعق :107
(18) ينظر آيات الولاية : 27
(19) ينظر هذه هي الولاية ، السيد عادل العلوي : 21
(20) الاحزاب 6
(21) الاحزاب 36
(22) ال عمران 32
(23) الحشر 7
(24) المائدة 55
(25) ال عمران 49
(26) ص 39
(27) ينظر الاختصاص ، الشيخ المفيد : 207
(28) ينظر بصائر الدرجات
(29) ص 29
(30) الحشر 7

(31) ينظر عظمة الصديقة فاطمة ، فاضل الفراتي

(32) المائدة 55

(33) الشيخ علي آل موسى، (السلطان والمجتمع: بحث فقهي في آلية التعامل)، تقرير لبحوث العلامة الشيخ عبد اللطيف الشبيب (ره)، مجلة (البصائر)، العدد 21، السنة التاسعة، خريف 1417هـ/ 1996م، ص 12- 15.

(34) ينظر المصدر نفسه

(35) التوبة 71

(36) الشيخ علي آل موسى، (السلطان والمجتمع: بحث فقهي في آلية التعامل)، تقرير لبحوث العلامة الشيخ عبد اللطيف الشبيب (ره)، مجلة (البصائر)، العدد 21، السنة التاسعة، خريف 1417هـ/ 1996م، ص 12- 15.

(37) النساء 59

(38) الاحزاب 6

(39) الانفال 72

(40) التوبة 71

(41) الشيخ علي آل موسى، (السلطان والمجتمع: بحث فقهي في آلية التعامل)، تقرير لبحوث العلامة الشيخ عبد اللطيف الشبيب (ره)، مجلة (البصائر)، العدد 21، السنة التاسعة، خريف 1417هـ/ 1996م، ص 12- 15.

(42) المائدة : 55

(43) ينظر آيات الولاية في القرآن الكريم ، مكارم الشيرازي : 51/ 52

(44) ينظر موسوعة الغدير ، العلامة الاميني : 362/1

(45) ينظر آيات الولاية في القرآن الكريم ، مكارم الشيرازي : 52

(46) ينظر آيات الولاية ، مكارم الشيرازي : 53-54-55

(47) البقرة : 107

(48) البقرة : 257

(49) الكهف : 17

(50) الشورى : 28

(51) الاسراء : 33

(52) البقرة : 282

(53) الانفال : 34

(54) مريم : 5-6

(55) ينظر آيات الولاية ، مكارم الشيرازي : 56-57

(56) النساء : 59

(57) النساء : 59

(58) ينظر آيات الولاية ، مكارم الشيرازي : 79-80

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. آيات الولاية في القرآن الكريم ، الشيخ مكارم الشيرازي ، ط2 ، مدرسة الإمام علي عليه السلام، قم ، إيران، 2005.
2. الاختصاص ، الشيخ المفيد (ت413هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري والسيد محمود الزرندي، ط2 ، 1993م .
3. أساس البلاغة ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ) ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1998 م
4. الامامة والولاية في القرآن الكريم ، مجموعة مؤلفين
5. بصائر الدرجات ، الشيخ عز الدين الحسن بن سليمان الحلي العاملي (ت802هـ) ، تحقيق مشتاق صالح المظفر، ط1، مكتبة العلامة المجلسي، قم ، إيران .
6. تاريخ بغداد ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت463هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط1 ، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1417هـ .
7. التعريفات ، السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني ، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيرت ، لبنان، 2003م.
8. السلطان والمجتمع : بحث فقهي في آلية التعامل ، تقرير لبحوث العلامة عبد اللطيف الشبيب ، مجلة البصائر، العدد (21) السنة التاسعة
9. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري (ت 974هـ) تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي – كامل محمد الخراط ،ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1997م .
10. عظمة الصديقة فاطمة ، السيد محمد الشيرازي
11. الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، العلامة عبد الحسين أحمد الاميني، دار الكتب الإسلامية، طهران.
12. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت 1031هـ)، ط1، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، 1356.
13. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تحقيق د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال
14. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت 1094هـ)، تحقيق عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.
15. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، ط3، دار صادر – بيروت 1414 هـ

16. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون بإشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 2001 م
17. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
18. هذه هي الولاية ، السيد عادل العلوي